

د. بن عتو رضا
تاريخ الجزائر العام

المحاضرة السابعة: الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا

➤ المكتسبات القبلية:

- يتوقع أن يكون الطالب قد اكتسب قبل متابعة هذه المحاضرة ما يلي:
- معرفة عامة بتاريخ الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وخاصة سياسات التوسع نحو الشام ومصر.
- الإلمام بالسياق الجغرافي والسياسي لشمال إفريقيا قبيل الفتح، بما في ذلك طبيعة الوجود البيزنطي والقبائل البربرية.
- فهم مبادئ الجهاد والفتوحات في الإسلام كما وردت في الدروس السابقة المتعلقة بالفتوح المشرقية.
- الإحاطة بالمفاهيم الأساسية المرتبطة بالدولة، الجيش، التنظيم الإداري، والأنظمة الضريبية في صدر الإسلام.
- معرفة عامة بالأحداث الكبرى للفتح الإسلامي لمصر ونتائجها، لأنها مقدمة طبيعية لفهم التقدم نحو برقة وإفريقية.

➤ الأهداف العامة:

تهدف هذه المحاضرة إلى تمكين الطالب من:

- فهم دوافع الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا من الناحية الدينية والسياسية والعسكرية.
- تحليل مراحل الفتح منذ فتح برقة وطرابلس مروراً بحملة عقبة بن نافع الأولى، ثم أبي المهاجر دينار، وصولاً إلى إعادة الفتح وتأسيس القيروان.
- التعرف على الشخصيات المركزية التي لعبت دوراً محورياً في الفتح مثل عمرو بن العاص، عقبة بن نافع، وأبي المهاجر دينار.
- استيعاب طبيعة المقاومة المحلية سواء المقاومة البيزنطية أو مقاومة القبائل البربرية، خاصة شخصية الكاهنة ودورها.
- فهم التحولات السياسية والاجتماعية التي أحدثها الفتح في المنطقة، بما في ذلك نشر الإسلام وتعريب المجال الثقافي.
- اكتساب القدرة على الربط بين الأحداث زمنياً وتحليل نتائجها المباشرة والبعيدة المدى على تاريخ شمال إفريقيا.
- تطوير مهارات التحليل التاريخي عبر قراءة نقدية للمصادر القديمة والتفريق بين الرواية التاريخية والأسطورة.

د. بن عتو رضا تاريخ الجزائر العام

1. الإرهاصات الأولى للفتح:

بدأت محاولات المسلمين فتح بلاد المغرب في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله، وهذا بعدما أكمل عمرو بن العاص فتح مصر سنة 20هـ، بدأت انظار عمرو تتجه نحو الغرب بهدف حماية المسلمين في مصر من البيزنطيين.

أ. فتح برقة وطرابلس 22هـ:

سار عمرو بن العاص نحو برقة فصالح أهلها على دفع الجزية وتم فتحها سنة 22هـ بدون قتال حيث أن سكان برقة البربر كانوا ناقلين من البيزنطيين وبالتالي لم يقاوموا جيش عمرو بن العاص، كما أرسل عمرو بن العاص أحد قادة جيش وهو عقبة بن نافع نحو الجنوب إلى زويلة وأمره على المنطقة الممتدة ما بين برقة وزويلة.

واصل عمرو بن العاص سيره نحو الغرب على الساحل فعقد صلح مع أجنادية في نفس السنة وتعهد سكانها بدفع الجزية، ثم سار إلى طرابلس وقاتل أهلها وفتحها عنوة بعد حصار دام شهرا كاملا، وقد كتب إلى عمر بن الخطاب قائلا: "... أنا قد بلغنا أطرابلس، وبينها وبين إفريقية تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فأفعل"، فكتب إليه عمر: " لا إنها ليس إفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت".

بعد فتح طرابلس واصل عمرو بن العاص سيره غربا فوصل إلى مدينة صيرة وكان أهلها مشغولون وأبواب الحصون مفتوحة فهجم عليهم ووضع فيه القتل فاستسلموا، ثم أقفل عائدا إلى مصر مجددا.

توقفت الفتوحات الإسلامية في إفريقية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح مصر حيث لم يأذن لعمرو بن العاص بالتوغل إلى إفريقية وهذا حتى يتمكن عمرو بن العاص من تثبيت حكم المسلمين في مصر، كما تمكن عقبة بن نافع الفهري من اخضاع القبائل الصحراوية الواقعة جنوبا من زويلة إلى برقة.

ب. حملة عبد الله بن أبي السرح إلى إفريقية 27 هـ:

توفي عمر بن الخطاب وعلى مصر أميران عمرو بن العاص في الشمال وعبد الله بن سعد بن أبي السرح على الصعيد في الجنوب، ولما استخلف عثمان بالخلافة عزل عمرو بن العاص وعين أخيه من الرضاة عبد الله بن سعد بن أبي السرح، هذا الأخير الذي استأذن الخليفة بغزو إفريقية فقبل ذلك، وبالتالي خرج الجيش قاصدا إفريقية سنة 27 هـ ولما وصل إلى برقة انظم إلى الجيش عقبة بن نافع الفهري ومن معه وقد لقب هذا الجيش بجيش العبادلة لأن أغلب قادة هذا الجيش هم: عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر بن الخطاب، عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن سعد بن أبي السرح وغيرهم، وكان حاكم إفريقية ملك بيزنطي يسمى جرجيس أو جرجير، وقد وقعت معركة سبيلة وانتهت بهزيمة البيزنطيين ومقتل جرجير على يد عبد الله بن الزبير، ومن ثم انسحب عبد الله بن سعد إلى مصر سنة 28هـ.

د. بن عتو رضا

تاريخ الجزائر العام

توقفت حركة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب قرابة 13 سنة وهذا بسبب الأحداث التي كانت تقع في مقر الدولة الإسلامية، فقد قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وعين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذي انشغل بإخماد الفتنة التي ضربت عمق الدولة؛ ولم تستأنف حركة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب إلا في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

ت. حملة معاوية بن حديج 45هـ:

بعدما بويع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كخليفة للمسلمين عزم على استئناف حركة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، وكان قد أعاد عمرو بن العاص واليا على مصر بعد أن عزل عبد الله بن سعد بن أبي السرح، عمرو بن العاص الذي أرسل جيشا بقيادة معاوية بن حديج سار على نفس طريق عبد الله بن سعد بن أبي السرح وقام بالتوغل إلى إفريقية وفي هذه الحملة تم فتح مدينة سوسة بعد حصار شديد انتهى باستسلام أهلها ومن ثم تم فتح بنزرت، وأخيرا عاد معاوية بن حديج إلى مصر، وتم عزله من قبل معاوية بن أبي سفيان وعين في مكانه مسلمة بن مخلد الأنصاري واليا على مصر.

2. مرحلة تثبيت الفتح:

أ. حملة عقبة بن نافع الفهري الأولى 50هـ:

بعد أن عزل معاوية بن حديج عن إفريقية عين معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع الفهري الذي وجه جيشا لها، وكان عقبة مقيما ما بين برقة وزويلة منذ عهد عمرو بن العاص، وقد سار حتى وصل إلى حدود إفريقية بعد طرابلس وهنا فكر عقبة في ضرورة اتخاذ مدينة تكون معسكرا للجيش الإسلامي، وتم بناء القيروان البعيدة عن البحر مخافة من غزوها بحرا.

بدأ عقبة في بناء القيروان منذ سنة 49هـ وانتهى من بناءها سنة 52هـ، وقد أقام في هذه المدينة الجديدة الدور والمساجد والمنشآت العسكرية، وما إن أتم بناءها حتى أتاح قرار العزل من والي مصر مسلمة بن مخلد سنة 55هـ، ويعين في مكانه أبا المهاجر دينار.

ب. حملة أبو المهاجر دينار 55هـ:

توجه أبا المهاجر دينار إلى إفريقية وقام ببناء مدينة تيكروان وأخلى مدينة القيروان التي بناها عقبة، وفي ها الوقت كانت القبائل البربرية قد تجمعت حول قائد بربري يسمى كسيلة، وقام القائد المسلم من التوغل إلى غاية تلمسان أين هزم جيش كسيلة هذا الأخير الذي أعلن إسلامه، ويعتبر أبي المهاجر دينار أول قائد إسلامي يدخل منطقة المغرب الأوسط، وبقي على رأس إفريقية حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والذي خلفه ابنه يزيد بن معاوية الذي قام بعزل أبي المهاجر دينار ويعين عقبة للمرة الثانية.

د. بن عتو رضا تاريخ الجزائر العام

ت. حملة عقبة لن نافع الفهري الثانية 62هـ:

ولي عقبة ولاية إفريقية للمرة الثانية من قبل يزيد بن معاوية فنأر عقبة من أبا المهاجر، فقام بتكبيله بالحديد وأمر بتخريب مدينته تيكروان وأمر الناس بالعودة إلى القيروان وأمر بتعميرها مجدداً، وانطلق في حملته متوجهاً من نفس طريق الذي سبقه أبا المهاجر وهو من انتصار إلى آخر على الروم، ووصل عقبة إلى غاية طنجة على ساحل المحيط الأطلسي، وهنا قال عقبة: " اللهم أشهد أنني قد بلغت المجهود، ولو لا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك "؛ وعاد قافلاً إلى القيروان وفي الطريق سلك منطقة بسكرة (تهودة) وكان قبل ذلك قد أمر أغلب جيش بالإسراع قبله إلى القيروان، وهناك أوقع كسيلة عقبة ومن معه في فخ وقتله. بعد وفاة عقبة اجتمع إلى كسيلة جموع البربر والروم واشتعلت إفريقية نارا وزحف إلى القيروان وأقام بها وعين نفسه أميراً على من فيها من البربر والعرب.

ث. حملة زهير بن قيس البلوي 69هـ:

في سنة 65هـ ولي عبد الملك بن مروان الملك، فلما اشتد سلطانه اجتمع إليه الناس من أجل طلب تخليص إفريقية من قبضة كسيلة، فقام بتعيين زهير بن قيس البلوي الذي سار إلى غاية القيروان لفتحها من كسيلة، ولما علم هذا الأخير بقدم جيش المسلمين خرج منها، والتقى الطرفان في معركة ممش انتهت بهزيمة كسيلة ومقتله، ومن ثم عاد إلى برقة التي هاجمها الروم وتمكنوا من قتل القائد زهير بن قيس البلوي ومن معه.

3. مرحلة استكمال الفتح:

أ. حملة حسان بن النعمان 74-85هـ:

بعد استشهاد زهير بن قيس البلوي عين عبد الملك بن مروان قائداً جديداً وهو حسان بن النعمان والذي سار سنة 69هـ إلى إفريقية، فحرر كل المدن التي كانت قد وقعت في قبضة الروم، أما البربر فقد اجتمعوا إلى قائدة بربرية تسمى بالكاهنة والتي كانت تتحكم في الأوراس وما جاورها، وقد وقعت بين الطرفين معركة كبيرة انتهت بهزيمة العرب وتراجع حسان بن النعمان ومن معه.

وعاد مجدداً حسان بن النعمان ليقاوم الكاهنة وهذه المرة تمكن منها وقطع رأسها سنة 82هـ، وبعد مقتل زعيمة البربر دخل هؤلاء في طاعة حسان بن النعمان، وقد تمكن هذا الأخير من إخضاع كل المناطق وعاد إلى القيروان سنة 84هـ.

ب. حملة موسى بن نصير 89هـ:

بعد وفاة عبد الملك بن مروان تولى ابنه الوليد بن عبد الملك، وعين على إفريقية موسى بن نصير سنة 89هـ، الذي وجه حملة تأديبية جديدة ووصل هذه المرة إلى جنوب المغرب الأقصى إلى إقليم السوس، وقد ولى في الشمال وبالتحديد في طنجة نائبه طارق بن زياد وأكمل فتح بلاد المغرب سنة 92هـ.

د. بن عتو رضا
تاريخ الجزائر العام

4. أسباب طول فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

- مقاومة البربر للفتاحين.
- المشاكل السياسية التي عرفتها الدولة الإسلامية بعد مقتل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- الوجود البيزنطي في بلاد المغرب.
- صعوبة تضاريس بلاد المغرب.